المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم ﷺ

وقف تعظيم الوحيين

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة، تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

موضوعات العدد:

- أثر التماثل الصوتي في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية على آيات من جزء عم
  د. فيصل بن حمود بن حشاش المخيمر الشمري
- الأجوبة الجَلِيَّة عن الأسئلة الخَفِيَّة في تفسير الآيات القرآنية لعَلي بن محمد المصري (ت: نحو ١١٢٧هـ) سورة الفتح
  د. بكر بن محمد بن بكر عابد
- آية العز في القرآن الكريم _دراسة موضوعية_
  د. فهد بن فرج أحمد الجهني
- منهج ابن فضال في التفسير من خلال كتابه (النكت في القرآن الكريم)
  د. سلطان بن بدير بن بدر العتيبي
- التّشابه اللّفظيّ والمعنويّ في دورة حياة النّبات وخَلْقِ الإنسان في القرآن الكريم
  د.هبة الله بنت صادق بن سعيد أبو عرب
- اَلِاتّسَاقُ وَالِانسِجَامُ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ
  د. نور بنت عويض عبد الرحيم الرفاعيَ
- دلالة عبارات خوف وقوع الوهم في صحيح ابن خزيمة جمعا ودراسة
  د. عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الخريجي

ملحق المجلة لبحوث طلبة الدراسات العليا:

- الجرح المقيّد وأثره على مرويات الراوي - تطبيق على نماذج من مرويات الإمام عبد الرزاق الصنعاني-
  شيماء بنت خالد حامد النمري

١٥

العدد الخامس عشر - السنة الثامنة - محرم ١٤٤٦هـ - اغسطس ٢٠٢٤م

ردمد : ١٦٥٨ - ٧٧٤ X

المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم ﷺ

مجلة تعظيم الوحيين

مجلّة دوريّة علميّة محكّمة

تُعنى بنشر بحوث الدِّراسات القرآنيَّة والسُّنة النبويَّة وما يتعلّق بهما

العدد الخامس عشر - السنة الثامنة-محرم ١٤٤٦هـ -اغسطس ٢٠٢٤م

حقوق الطبع محفوظة لمجلة تعظيم الوحيين

ترخيص وزارة الثقافة والإعلام -الرياض، المملكة العربية السعودية

برقم: (٨٠٤٤)، وتأريخ: ١٤/ ٤/ ١٤٣٦هـ

رقم الإيداع: ٩٩٣٩/ ١٤٣٨

تأريخ: ٢٨/ ١/ ١٤٣٨

ردمك: ١٦٥٨ - ٧٧٤ x

عناوين المراسلات والاستفسارات

جميع المراسلات تكون باسم رئيس تحرير المجلة:

البريد الالكتروني للمجلة: **mjallah.wqf@gmail.com**

مَجَلّةُ تَعْظِيمِ الوَحْيَيْنِ، وقف تعظيم الوَحْيَيْنِ،

حي الهدا- المدينة المنورة: ص. ب: ٥١٩٩٣، الرمز البريدي: ٤١٥٥٣،

المملكة العربية السعودية.

هاتف المجلَّة: ٠٠٩٦٦١٤٨٤٩٣٠٠٩

جوال المجلَّة وواتسآب: ٩٦٦ ٥٣٥٥٢٢١٣٠+

تويتر: @mjallawqf

موقع المجلة : WWW.JOURNALTW.COM

بفضل الله وتوفيقه تم اعتماد مجلة تعظيم الوحيين في معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية "ارسيف Arcif" لعام ٢٠٢١م

المواد العلميَّة المنشورة في المجلَّة تُعبِّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم

مجلة تعظيم الوحيين

اَلِاتّسَاقُ وَالِانسِجَامُ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ

د. نور بنت عويض عبد الرحيم الرفاعي

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بكلية اللغات والترجمة

بجامعة جدة بجدة – المملكة العربية السعودية

noor.alrefaei2030@gmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخص البحث

موضوع البحث:

دراسة الاتَّساق والانسجام في خطبة الوداع، حيث تعد هذه الخطبة من أبرز الخطب؛ التي قيلت لما فيها من وصايا وتشريعات تهم المسلمين؛ من خلال تطبيق معايير الاتساق والانسجام. كما يتناول هذا البحث تعريف الاتساق والانسجام لغة واصطلاحا، وأهم المعايير التي يستند عليها.

أهداف البحث:

- معرفة أدوات الاتساق والانسجام، ودورها في تحقيق نصية خطبة الوداع وتماسكها .
- التعرف على الكيفية التي يحقق فيها الاتساق والانسجام الترابط والتلاحم في خطبة الوداع

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الكشف عن معايير الاتساق والانسجام في خطبة الوداع، ومدى تحققها، والكشف عن أهمية تطبيق تلك المعايير في التماسك النصي للخطبة.

منهج البحث:

اتبعت – في هذا البحث – المنهج الوصفي التحليلي؛ فالوصف يتضح في عرض أدوات الاتساق وآليات الانسجام، أما التحليل فكان في إظهار هذه العناصر في خطبة الوداع، ودورها في انسجام النص وتماسكه.

نتائج البحث:

توصل البحث إلى أن خطبة الوداع في غاية الاتساق والتماسك، ومنتهى الانسجام بين المفردات والجمل والعبارات، متماسكة في الشكل، مترابطة في دلالتها ومضمونها، وإلى غلبة الإحالة بالضمائر بنوعيها المتصلة والمنفصلة الظاهرة، والمستترة وأغلبها إحالة نصية مقامية، وأنَّ الفنون البيانية والبديعية في الخطبة أضفت على المتلقي المتعة إلى جانب الفائدة والمعلومة؛ رغم قلتها.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية) :

الاتَّساقُ – الانسِجَام – خطبة الوداع

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد؛ فَيُعَدُّ الاتساق والانسجام من المفاهيم التي شغلت علماء اللغة، وعنيت بها لسانيات النص، وهي سر من أسرار البلاغة والجمال؛ فبوجودهما يتحقق التماسك النصي للنص اللغوي، وندرك الأسرار واللطائف التي تربط الكلام بعضه ببعض؛ لبيان ما فيه من جماليات، والذي يعد مدخلا مهما؛ لانسجام النصوص وتماسكها.

واشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين: **الأول نظري: تناولت فيه مفهوم الاتساق**، وأدواته التي أسهمت في الترابط من إحالة وحذف وربط ...، وكذلك تطرقت إلى الانسجام ومفهومه وأدواته، ثم أفردت **المبحث الثاني لدراسة تطبيقية عن خطبة الوداع الذي تم فيه تطبيق آليات الاتساق والانسجام على الخطبة**، وبعد جولة من البحث في خطبة المصطفى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - سجَّلتُ أبرز ما انتهيت إليه من المسائل.

واتبعت - في هذا البحث - المنهج الوصفي التحليلي؛ فالوصف يتضح في عرض أدوات الاتساق وآليات الانسجام، أما التحليل فكان في إظهار هذه العناصر في خطبة الوداع، ودورها في انسجام النص وتماسكه.

خطبة الوداع من الخطب النبوية التي تعددت فيها الدراسات وكتبت فيها الأطروحات والأبحاث والمقالات منها على سبيل المثال:

(**آليات السبك النصي في الخطابة النبوية - خطبة حجة الوداع أنموذجا**): لحفصة باهي، وشيماء قناني، رسالة ماجستير في اللغة العربية والأدب العربي؛ في جامعة الشهيد حمَّة لخضر بالوادي، ٢٠٢٢م.

(**الإحالة وأثرها في التماسك النصي في خطبة حجة الوداع**): لكوناي أحمد علي، مجلة كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، أربيل ٢٠٢٢م.

(**الأساليب النبوية والدراسات النحوية - خطبة حجة الوداع نموذجا**): لسلوى عبد الفتاح حسن بدوي، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، جُرجا، ٢٠٢٠م، المجلد ٢٤، العدد ٨.

(**الأسلوبية الوظيفية بين المكون النحوي والتماسك النصي - طرح تأصيلي للنحو العربي الأسلوبي في خطبة حجة الوداع**): للدكتور ياسر محمد حسن علي، مجلة كلية الآداب ، جامعة الفيوم ، المجلد ١٣، العدد ٢، ٢٠٢١م.

(**خطبة الوداع - دراسة موضوعية فنية**): للدكتور محمد جواد علي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٥، العدد ٢، ٢٠٠٨م.

وقد أفادت الدراسة من الدراسات السابقة في مجال التحليل وعلم اللغة النصي؛ لبيان معايير الاتساق والانسجام في تماسك الخطبة النبوية وتلاحمها.

أهمية موضوع البحث:

- الحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.
- الاتساق والانسجام يُعينانِ على الفهم الصحيح لأقوال المصطفى- عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .
- الكشف عن الجوانب اللغوية والبلاغية في الحديث النبوي الشريف، وسر الإعجاز فيها .

أهداف البحث:

- معرفة أدوات الاتساق والانسجام، ودورها في تحقيق نصية خطبة الوداع وتماسكها .
- التعرف على الكيفية التي يتحقق فيها الاتساق والانسجام الترابط والتلاحم في خطبة الوداع.

المبحث الأول:
الاتّساق والانسجام

أولا: الاتّساقُ

الاتساق لغة:

يقول ابن منظور في: "اسْتَوْسَقَتِ الإبلُ: اجْتَمَعَتْ ووسَقَ الإبلَ: طَرَدَها وجَمَعَها ...واتسقت الإبلُ واستوسَقَتِ: اجْتَمَعَتْ، وقَدْ وَسَقَ الليْلُ، وَاتَّسَقَ، وكُلُّ ما انْضَمَ، فَقَدْ اتَّسَقَ، والطَّرِيقُ يأتسِقُ ويَتَّسِقُ، أي : يَنْظَمُّ ...واتَّسَقَ الْقَمَرُ: اسْتَوى"، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ [الانشقاق ١٦-١٨] . ونقل ابن منظور عن الفراء: "وما وَسَقَ، أي: ومَا جَمَعَ وضَمَّ، واتّساقُ القَمَرِ: امتِلاؤهُ واجتماعُهُ وَاستِواؤُهُ لَيْلَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ وأَربعَ عَشرَةَ ... وَالوَسْقُ: ضَمُّ الشَّيْءِ إلى الشَّيء... وقيل: كل ما جَمَعَ فقد وَسَقَ.. وَالاتّسَاقُ الانتِظامُ"[1] وعليه يتضح مما أورده ابن منظور أن معنى (الاتّساق) لا ينحصر في معنى واحد؛ بل له معان كثيرة متعددة، إلا أنها تكاد تجتمع في معان معدودة رغم تشعب استخدامها؛ إذ تستخدم في محلها في معاني: الاجتماع، والانضمام، والاستواء الحسن، والانتظام.

اصطلاحا:

يُعدُّ الاتّسَاقُ أحد المصطلحات المحورية في الدراسات التي تندرج في مجال لسانيات النص؛ إذ نادرا ما تجد باحثا في هذا المجال، لم يهتم بهذا المصطلح، بل لعلنا نستطيع القول: إن الاتساق أحد المفاهيم الرئيسة في لسانيات النص؛ وهو يخص التماسك على المستوى البنائي الشكلي؛ إذ يعرفه محمد خطابي: بأنه "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من

(١) **لسان العرب**، مادة وسق، (٦/ ٤٨٣٦-٤٨٣٧).

خطاب أو خطاب برمته"[1] ومما هو واضح أن هذا التماسك لا يقتصر على أمر محدد بذاته، وإنما يتكون من مجموعة أدوات الترابط النحوي والمعجمي التي تُعدُّ مكونات فعالة في تحقيق الجانب الاتساقي؛ إذ لا يمكن أن نقول عن أي نص أنه منسق إلا إذا تحققت فيه مجموعة من الروابط التي تعمل على تماسكه. يرى كل من "هاليداي" و " رقية حسن" في كتاب الاتساق في اللغة الإنجليزية أن:"مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص"[2]، فالاتساق لا يظهر ولا يتم في المستوى الدلالي فحسب، بل يتم – أيضا – في مختلف المستويات الأخرى مثل النحو، المعجم...، فهو يشمل كل المفردات المستعملة التي تُسهمُ في الترابط بين عناصر النص فيما يخص الجمل والضمائر، وغير ذلك من الأشكال اللغوية.

يقوم الاتساق على معايير يمكن الاستناد إليها في الحكم على اتساق نص ما، وهي:

الإحالة :

الإحالة بمعنى التحوُّل من حال إلى حال، أو تحول من شيء إلى شيء؛ ففيها معنى التغيير والانتقال من مكان إلى مكان[2]، وتُعدُّ الإحالة مادة أولية، وعاملا يستخدمها محلل النص؛ ليثبت مدى اتساق نصه؛ لذلك تعد الإحالة من أهم أدوات الاتساق؛ فعن طريق روابط الإحالة يكتمل النص، وترتبط أجزاؤه.

وعرف أحمد عفيفي الإحالة بقوله:" إن الإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة، وما تشير إليه من أشياء، أو معان، أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم؛ مثل الضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول ..."[3].

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (ص٥).
(٢) تاج العروس، مادة (حول)، (٢٨/ ٣٦٦).
(٣) الإحالة في نحو النص، (١٣-١٤).

وقد استخدم الباحثان"هاليداي "و"رقية حسان" مصطلح الإحالة استعمالا خاصا؛ وهو أن العناصر المحلية – كيفما كان نوعها – لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها "[1]، ومن هنا نلحظ أن للإحالة روابط تختلف من حيث مداها ومجالها، وأنها تنقسم إلى قسمين:

إحالة مقامية أو إحالة خارج النص؛ وهي: "ترجع إلى أمور تستنبط من الموقف، لا من عبارات تشترك مهامها في الإحالة في نفس النص والخطاب بهذا النوع من الإحالة يمكن أن يُحدث نوعًا من التفاعل بين النص والموقف السياقي"[2]؛ فهي تتيح المجال لقراءة النص بأكثر من معنى.

إحالة نصية أو إحالة داخل النص؛ وهي التي تعمل على الربط بين جميع جزئيات النص، ولها دور بارز في ترابط النص وتماسكه، والبعد عن الانفصال؛ فالوصل بين المقاطع والجمل يكون بفضل الإحالة، فتعليق الألفاظ بعضها ببعض وترتيبها وتأليفها حسب ما يقتضيه علم النحو يؤدي إلى اتساق النصوص وحسن سبكها وانسجامها وتضفي على المعنى شيئا من القوة، فدورها لا يقتصر على الربط؛ بل تُعدُّ الإحالة من الأدوات التي يؤدي استخدامها إلى تجميل الكلام وتحسينه، ومثل الجرجاني على ذلك بقول البحتري :

بَلَوْنَا ضَرَائبَ مَنْ قَدْ نرى فَمَا إنْ رَأَيْنَا لِفتْح ضَرِيباَ

هُوَ المَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الحَادِثَاتُ عَزْمًا وَشيكاً، وَرَأيًا صلِيبَا

فأول ما يلفت نظرنا ويروقنا حسنا وإعجابا البيت الثاني؛ فالضمير المنفصل (هو) ربط البيت الثاني بالأول وأضاف للمعنى قوة وجمالا؛ فالإحالة هنا ربطت الكلام ببعضه؛ فأفادت تماسك النص وانسجامه[3].

(١) ينظر: **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، (١٦-١٧).
(٢) ينظر: **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، (١٧- ١٨).
(٣) ينظر: **دلائل الإعجاز**، (٨١-٨٥)؛ وينظر في: **اللسانيات ونحو النص**، (٢٢٧-٢٢٨).

وللإحالة أهمية في أنها تحقق الترابط التركيبي، والتماسك النصي بين أجزاء النص، كذلك تسعى الإحالة إلى الإيجاز، والاقتصاد اللغوي عند سرد المفردات.

فالإحالة وسيلة من وسائل الاتساق؛ حيث تعد من أبرز الظواهر اللغوية حضورا في عالم النص، ففيها إشارة إلى علاقة بين طرفين، يحيل فيها عنصر لاحق إلى عنصر سابق في سياق النص[١]؛ فهي تجسد العلاقات بين أجزاء النص، وتخلق علاقات معنوية من خلال عناصرها الإحالية[٢].

وتتفرع وسائل الاتساق الإحالية إلى ثلاث:

الضمائر :

تؤدي الضمائر دورا فعالا في اتساق النص؛ لذا تنال مكانة بارزة عند الباحثين، وقد استعملت العرب الضمائر لغرض اختصار الأسماء[٣]، وتنقسم إلى " نوعين: ضمائر وجودية ؛ مثل: أنا، أنت ، نحن ، هو ، هم ، هن... ، وهي التي تدل على الذات، وإلى ضمائر ملكية؛ مثل : كتابي، كتابك، كتابنا ... "[٤]، والضمائر – بأنواعها المختلفة – تستخدم في الربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا ودلالة داخليا وخارجيا سابقة ولاحقة[٥]. وتؤدي دورا بارزا في عملية الاتصال و التواصل.

أسماء الإشارة :

تربط أسماء الإشارة بنوعيها: (للقرب أو للبعد) أجزاء النص، وتسهم في اتساقه وتماسكه؛ فهي تربط بين المبنى والمعنى؛ فضمير الإشارة " ضمير قوي وعنصر فاعل؛ إذ يمكن استخدامه

(١) ينظر: **اجتهادات لغوية**، (ص١٥٥).
(٢) **الإحالة في نحو النص**، (ص١٤).
(٣) ينظر: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، (١/ ١٠٥).
(٤) **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، (ص١٨).
(٥) ينظر: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية**، (١/ ١٣٧).

مكثفا؛ أي مشيرا إلى عدد كبير من الأحداث السابقة له؛ رغبة في الاختصار، أو اجتناب للتكرار"[١]، وهذا ما يعرف بالإحالة الموسعة؛ أي : إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل[٢]، فأسماء الإشارة أدوات إحالية تقوم بالربط النصي في الإحالات القبلية والبعدية .

وأسماء الإشارة من الوسائل التي تربط عناصر الجملة، وتحقق التماسك النصي، ويُمكِنُ استبدال ضمير الغائب باسم إشارة في كل موضع تربط فيه بين عناصر الجملة[٣].

أدوات المقارنة:

كلمة مقارنة تعني أن هناك خاصية وسمة مشتركة بين اثنين يجب المقارنة بينهما.

تُسهم أدوات المقارنة في اتساق النص، وقد صنفت إلى صنفين: عامة: يندرج تحتها التطابق والتشابه والاختلاف، وخاصة: تتفرع إلى كمية، وكيفية وتتمثل في (أجمل من، جميل، أفضل، أكثر) كل هذه العناصر تقوم بوظائف اتساقية تربط بين أجزاء النص"[٤].

والذي يؤهل أدوات المقارنة؛ لتكون وسيلة من وسائل الاتساق ميزتها الإحالية النصية القبلية أو البعدية؛ فهي تعبيرات إحالية لا تستقل بذاتها.

من هنا نلحظ أن الاتساق هو تماسك الأجزاء اللغوية للنص؛ من خلال معايير ووسائل شكلية تصل بين عناصر النص؛ كأدوات الإحالة من الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات الربط.

ثانيا: الانسجام

لغة: جاء في لسان العرب مادة (سجم): "سَجَمَتِ العَيْنُ الدَّمعَ والسَّحَابَةُ الْمَاءَ، تَسْجِمُهُ و تَسْجُمُهُ سَجْمًا وسُجُوماً وسَجَماناً: وهُوَ قَطَرانُ الدَّمْعِ وسَيَلانُهُ قَلَيلا كانَ أَوْ كَثِيرًا ... وَالْعَرَبُ

(١) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، (ص١٤٣).
(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (ص١٩).
(٣) ينظر: البيان في روائع القرآن، (١/ ١٣٩-١٤٠).
(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (ص١٩).

تَقُولُ : دَمْعٌ ساجِمٌ، ودَمْعٌ مَسْجُومٌ، سَجَمَتْهُ العَيْنُ سَجْماً، وكَذلك عَيْنٌ سَجُومٌ، وسَحابٌ سِجُومٌ، وَانْسَجَمَ الماءُ وَالدَّمْعُ، فَهُوَ مُنْسَجِمٌ، إذا انسجَمَ، أي انْصَبَّ وَسَجَّمَتِ السَّحابَةُ مَطَرَها تَسْجِيماً وتَسْجاما: إذا صَبَّتْهُ،... وسَجَمَ الْعَيْنُ وَالدَّمْعُ وَالْماءَ يَسْجُمُ سُجُوماً وسِجاماً إذا سالَ وَانْسَجَمَ، وأَسْجَمَتِ السَّحابَةُ: دامَ مَطَرُها"(١).

اصطلاحا: يعد الانسجام من المفاهيم التي وظفتها لسانيات النص؛ للكشف عن تلاحم النص اللغوي، وترابط جمله وفقراته، يقول ليفا ندو فكسي: " ليس الحبك محضا خاصا من خواص النص...ولكنه أيضا حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعين أو القراء"(٢).

وللانسجام آليات تساعد الباحث في الكشف عن تلاحم النص وانسجامه.

السياق:

الذي تنتظم عناصر النص ووحداته اللغوية، ويعد مقياسا تتصل - بواسطته - الجمل فيما بينها، وتترابط، والبيئة اللغوية والتداولية تراعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ(٣).

فيرى الباحثون أنه ينبغي على محلل الخطاب ضرورة الأخذ بالسياق الذي ورد في النص أو الخطاب مع توافر مجموعة من العناصر؛ مثل الكاتب، المتلقي، الزمان، المكان؛ لأنه "يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب"(٤).

(١) **لسان العرب**، مادة سجم، (٣ / ١٩٤٧).
(٢) ينظر: لمحمد العبد، **حبك النص (منظورات من التراث العلمي)**، (ص١٢٩).
(٣) ينظر: **المرجع السابق**.
(٤) **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، (ص٥٢).

بنية الخطاب:

الخطاب "مركز جذاب يؤسسه منطلقه، وتحوم حول بقية أجزائه"[١] فهو يتعلق بين عنوان الخطاب وبدايته، وبين أجزاء الخطاب، وما يحتويه؛ فالخطاب جمل مترابطة من البداية إلى النهاية تتعلق العناصر اللاحقة بالسابقة وتؤثر فيما بينهما.

والبنية الخطابية تهتم بالمتكلم ومتلقي الخطاب، ونوع الرسالة ومحتواها، وهذه أهم العناصر التي يتشكل منها أي نص، وتُسهم في فهمه، وتأويله للوصول إلى سر تماسكه.

نص الدراسة : خطبة الوداع[٢]:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اَلْحَمْدُ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُه، وَنَسْتَغْفِرُه وَنَتُوبُ إِلَيه، وَنَعُوذُ بالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أوصيكم - عباد الله - بتقوى الله، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد...**

أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا، أيها الناس: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرامٌ عَلَيْكُمْ إلى أَن تَلْقَوا رَبَّكم كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا. ألا هل بلَّغْتُ؟ اللهم اشهد. فَمن كانتْ عنده أمانةٌ فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها. وإِنَّ ربا الجاهليةِ موضوعٌ، وإنَّ أَوَّلَ ربا أبدأ به ربا عمي العباسِ بن عبد المطلبِ. وإن دماءَ الجاهليةِ موضوعةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ نبدأُ به: دَمُ عامر بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وإنَّ مآثرَ الجاهليةِ موضوعةٌ غيرُ السدانة والسقاية، والعَمْدُ قودٌ، وشبه العمد: ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مئة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

(١) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (ص٥٩).
(٢) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي - باب حجة الوداع، (ص٨٣٠ -٨٣٢)؛ صحيح مسلم، كتاب الحج، (ص٥٦٤-٥٦٦)؛ البيان والتبين، (٢/ ٣١-٣٣).

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك؛ مما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس : إنَّ النَّسِيء زيادةٌ في الكفرِ، يُضلُّ بِهِ الذين كفروا يُحلُّونهُ عاماً ، ويُحرّمُونهُ عَامًا ؛ لِيُواطِئُوا عِدَّة مَا حَرَّمَ اللهُ ؛ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإنَ عِدَّة الشهور - عند اللهِ - اثنَا عَشَرَ شهرا منها، أربعة حُرُم: ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن لِنسَائِكُم عَلَيكُم حقاً، ولَكُم عَليهنّ حق: لكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ غيركم، ولا يُدخِلنْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بيوتكُم إلا بإذنكم، ولا يأتينَ بِفَاحِشَة مبينة، فَإِن فَعَلْنَ فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِحٍ، فإن انتهين، وأطعنكم، فعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُن بِالْمَعْرُوفِ، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ. فَاتَّقُوا اللهَ فِي النّساء واستوصوا بهن خيرا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، لا يحل لا مرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا تَرجِعوا بَعدِي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله. ألا هل بلغت؟

اللهم اشهد أيها الناس: إن رَبَّكُم وَاحِدٌ، وإنّ أَبَاكُم وَاحِدٌ، كُلكُّم لآدمَ وآدمُ من تُراب. إن أكرمُكُم عندَ اللهِ أتقَاكُم، إن الله عليم خبير، وليس لعربيّ على عجمي فَضلٌ إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. قالوا: نعم، قال: فليُبَلّغِ الشاهدُ الغائبَ.

أيها الناس: إن الله قسَّم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث. والولد للفراش، وللعاهر الحجر. من دُعي إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

المبحث الأول :
الاتّساقُ في خُطبةِ الوداعِ

الإحالة:

للإحالة دور بارز وفعال في اتساق الخطبة؛ فقد أسهمت في اتساق النص النبوي الشريف وتماسكه؛ من خلال دورها في ربط أجزاء النص؛ ممثلة في الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، أدوات المقارنة.

الضمائر:

تعد الضمائر من أساسيات اللغة العربية، وتعرف بأنها أسماء جامدة تستخدم للدلالة على المتكلم والغائب والمخاطب، وتنقسم إلى قسمين: ضمائر منفصلة، وضمائر متصلة، وبارزة ومستترة، وضمائر الرفع، وأخرى للنصب.

فالضمائر – بأنواعها المتصلة والمنفصلة، والظاهرة والمستترة – التي تحيل إلى إحالات نصية داخلية وخارجية وهي؛ التالية :

الضمير المتصل الهاء في « **نحمده، نستعينه، نستغفره، نتوب إليه، وحده، لا شريك له، عبده ورسوله، طاعته**» كل هذه الضمائر تحيل إلى لفظ الجلالة (الله) الموجود في صدر الخطبة في قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (الحمد لله)، وهي إحالة داخلية قبلية.

وضمير **الغائب المتصل** في قوله – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ –: « **يهده الله، فلا مضل له، فلا هادي له، من كانت عنده**».

وإحالة الضمير المستتر وجوبا، والمقدر بـ (نحن) في « **نحمده، نستعينه، نستغفره، نتوب، نعوذ**» تحيل إلى المسلمين في كل زمان ومكان؛ وهي إحالة نصية مقامية.

والإحالة في قوله - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -: «**أشهد، أوصيكم، أحثكم، استفتح، لا أدري، أبدأ**» بالضمير المستتر وجوبا والمقدر بـ(أنا) الذي يعود على الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ونوع الإحالة إحالة مقامية.

كذلك الإحالة بالضمير المتصل الظاهر للمتكلمين المفرد أو الجمع نحو(نا) في قوله «**أنفسنا، أعمالنا**» و(الياء) في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :«**اسمعوا مني، فإني لا أدري، لعلي، عامي، موقفي، ربا عمي، بعدي**» و(التاء) في«**بلغت، تركت**»وهي ما يقارب ١٦ موضعا.

والضمائر المتصلة للمخاطبين توزعت في الخطبة بصورة كبيرة؛ حيث بلغت ما يقارب خمسة وأربعين موضعا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (الكاف) في«**أوصيكم، أحثكم، لكم، ألقاكم، دماءكم، أموالكم، يومكم، شهركم، بلدكم، نساءكم، عليكم، لكم، فرشكم، بيوتكم** ... »، وضمير واو الجماعة في«**اسمعوا، تلقوا، تحقرون، تكرهونه، تعضلوهن، تهجروهن، تضربوهن، أخذتموهن، اتقوا الله، استوصوا، لن تضلوا** ... ».

ساعدت الضمائر بأنواعها وأسهمت في تحقيق الاتساق وربط أجزاء النص؛ ليبدو ككتلة لغوية واحدة متلاحمة؛ فالإحالة ليست إحالة شكلية للجمل؛ بل لها وظيفة دلالية، وهذا ما نخلص إليه من وجود الضمائر في أي نص؛ فالضمائر تقوم على ربط الدلالات المتناثرة للجمل، وإحالات الضمائر وانتشارها الواسع في خطبة الوداع؛ تجعل القارئ يلمس تناسقها من البداية حتى النهاية؛ على الرغم من تنوع مضامين الخطبة؛ حيث تناولت مجموعة من المبادئ التي تتصل بالعقيدة، وأمور الدين وأحكامه الشرعية والتشريعية التي تنظم حياة الفرد والمجتمع الإسلامي.

فروابط الإحالة هي التي تجمع وتقرب بين المتفرقات؛ لتكون النص؛ وهو ما يصفه اللسانيون (السبك النصي) بأنه عنصر جوهري في تشكيل النص وتفسيره[1]، كما أفاد مجيء الضمائر الإيجاز والاختصار فذكر الضمير (الحرف) أغنى عن ذكر الاسم بكماله[2]؛ وذلك لأن مقام الخطبة مقام تعليم ووعظ ووداع حرص فيه معلم البشرية على تناول كل ما يتعلق بأمور الدين وأحكامه .

الإحالة من خلال أسماء الإشارة :

إن اسم الإشارة المتكرر بكثرة في الخطبة «**عامي هذا، يومكم هذا، شهركم هذا، موقفي هذا، بلدكم هذا، أرضكم هذه** » هو المستخدم للقريب؛ حيث تكرر ست مرات؛ سواء للإشارة للزمان أو المكان ؛ مقارنة باسم إشارة (ذلك) للمكان البعيد الذي ذكر مرة واحدة في قوله : «**سوى ذلك**».

إنَّهُ مما يساعد على شد الانتباه، والتركيز على استقطاب حواسه لأهمية الكلام، فضلا عن ذلك؛ فإن في تكرار اسم الإشارة وورده على التتابع مع اليوم والشهر والبلد؛ دلالةً على التفخيم والتعظيم، وما تحظى به هذه الألفاظ من تمييز، كما في تكرار اسم الإشارة، ما يدل على اهتمام المصطفى - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- بها، وتعظيم أمرها ، كذلك الإشارة إليها فيها دلالة على زمان ومكان الخطبة ؛ فالعام هو العام التاسع من هجرة المصطفى- عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- واليوم يوم عرفة والشهر شهر ذي الحجة والبلد يقصد به مكة، ولعل في الإشارة بالقرب دلالةً على قرب الأماكن ومكانتها من قلب رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهي مكان ولادته ومهبط الوحي ، واسم الإشارة عنصر قوي وفاعل؛ إذ يمكن استخدامه مكثفا، مشيرا إلى عدد كبير من الأحداث السابقة له، رغبة في الاختصار أو اجتنابا للتكرار[3]، ونوع الإحالة

(١) ينظر: **علم اللغة النصي المفاهيم والاتجاهات**، (ص٢٢٥).
(٢) ينظر: **شرح المفصل**، (٣/ ٨٤).
(٣) **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، (ص١٤٥).

بأسماء الإشارة في الخطبة الشريفة إحالة نصية قبلية، المحال إليه متقدم.

ونلحظ أيضا الإيقاع النابع من تتابع الجمل التي وظفها المصطفى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - ليجمع بين الإقناع والتأثير، ولا غرو فقد أوتي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جوامع الكلم، والقمة في الفصاحة والبلاغة.

الأسماء الموصولة:

الاسم الموصول هو: اسم يدل على معين بواسطة جملة تذكر بعده، تسمى جملة صلة الموصول، وقد تأتي جملة فعلية، أو جملة اسمية، تشتمل على رابط يعود على الاسم الموصول المبهم؛ لتوضحه وتزيل غموضه[1].

وتنقسم الأسماء الموصولة إلى **قسمين**:

خاصة؛ وتأتي للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، وتقوم على مبدأ التطابق والتماثل، ومنها: (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي) وغيرها.

عامة، أو مشتركة لأنها تأتي لفظًا مشتركًا مع المفرد المذكر والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، نحو: (من، ما)، وغيرها[2].

وقد ورد ذكر الأسماء الموصولة بنوعيها في الخطبة النبوية في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أستفتح بالذي هو خير، فليؤديها إلى الذي ائتمنه، يضل به الذين كفروا، رجب الذي وهي أسماء موصولة خاصة، أما الأسماء الموصولة المشتركة أو العامة فوردت في من يهده الله، من يضلل، ما قتل بالعصا، فمن زاد، مما تحقرون، ما حرم الله، تركت فيكم ما إن أخذتم به، من ادعى والأسماء الموصولة بإحالتها القبلية والبعدية أسهمت في تناسق النص وانسجامه وتماسكه .

(١) ينظر: **جامع الدروس العربية**، (١/ ١٢٩).
(٢) ينظر: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، (١/ ١٥١ -١٥٢).

والأصل في الأسماء الموصولة أن تكون إحالتها بعدية؛ بناء على جملة الموصول التي تأتي بعده؛ لتوضح معناه، وتزيل ما أبهم منه، وقد عرف النحاة الاسم الموصول بـ "اسم يدل على معين؛ بواسطة جملة تذكر بعده، تسمى صلة الموصول"[1] وقد جاءت جميع الإحالات النصية في خطبة الوداع بعدية باستثناء قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، رجب الذي" فقد وردت الإحالة قبلية؛ فالاسم الموصول (ما) الذي يشير لغير العاقل - غالبا - أرى أنه أفاد العموم والشمول.

ولأن المقام استدعى ذلك مطابقة للحال، واعتناء بتقديم الإحالة هنا.

أدوات المقارنة:

حظيت ألفاظ المقارنة بدور بارز في خطبة الوداع، فجاءت - بنوعيها - الخاص والعام:

أدوات المقارنة الخاصة هي التالية: **(أول)** في قوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «**أول ربا أبدأ به هو ربا ، أول دم**»، والمحال إليه «ربا - دم"، أكرم «**أكرمكم**»، أتقى «**أتقاكم**» والمحال إليه "عموم المسلمين"، أكثر"أكثر من الثلث" والمحال إليه"الثلث".

و أدوات المقارنة العامة هي: (شبه) في قوله - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «**شبه العمد**» والمحال إليه «**القتل العمد**»، و"حرف الكاف" في قوله: «**كهيئته**» والحال إليه «**يوم خلق**»، ومن هنا نلحظ أن أدوات المقارنة العامة تتضمن معنى التشبيه؛ لما تفيده من تقريب وتصوير المعاني للمتلقي، ونوع الإحالة إحالة نصية بعدية، وجاءت جميع أدوات المقارنة؛ للتعبير عن الكيفية؛ باستثناء أداة "أكثر" عبرت عن الكمية.

وبعد؛ فنلحظ غلبة المقارنة الخاصة في خطبة الوداع، وذلك لطبيعة الخطبة، وما يطلبه السياق.

(١) جامع الدروس العربية، (١/ ١٢٩).

التضام:

التضام وسيلة وأداة من أدوات التماسك النصي، وهو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة؛ نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"(١) ويتمثل التضام في عدة صور؛ نحو: (التضاد، التنافر، علاقة الجزء بالكل)، وسأتناول في البحث علاقة التضاد.

إن العلاقة التي يبرز من خلالها التضام في خطبة الوداع هي علاقة(التضاد)، فقد وردت وحدات لغوية بينها تضاد؛ كـ «**مَن يهدِ الله فلا مُضلَّ له**» «**يُحلونه عامًا ويُحرِّمونه**» «**السموات والأرض**» «**فليبلغ الشاهد الغائب**» بنيت الخطبة على مقابلة بديعية؛ فالهداية تقابل الضلال، والحلال يقابل الحرام، والسموات تقابل الأرض؛ مما أكسبت المعاني بيانا ووضوحا وتماسكا؛ فالأشياء تتميز بأضدادها؛ فظهر لنا بناء متماسك متناسب ونسيج واحد أدى المعنى على أكمل وجه.

من هنا نلحظ أن التضام أسهم في اتساق الخطبة، من خلال المصاحبة اللغوية للمفردات المتضادة.

التكرار:

يعد التكرار شكلا من أشكال الاتساق المعجمي: "ويتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف أو عنصر مطلق، أو اسم عام"(٢).

والتكرار من الظواهر التي كثرت في اللغة العربية، وقد عده بعضهم أحد معاني النحو التي تحقق في الكلام السبك والانسجام والتناسق، ويسهمُ في تلاحم النص وترابطه، ويأتي؛ لِنُكتةٍ منها، التقرير وهو تمكين المكرر في النفس وتقريره، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر ورأى كثير من العلماء أن ابن قتيبة أول من اعتبر ذلك(٣)، ويأتي التوكيد؛ للتوكيد، أو لزيادة التنبيه، أو للتهويل، أو للتعظيم، فيعرفه القاضي الجرجاني بأنه: "عبارة عن الإتيان بشيء مرة

(١) لسانيات النص، مدحل إلى انسجام الخطاب، (ص٢٥).
(٢) المرجع السابق، (ص٢٤).
(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن، (ص١٨٢).

بعد أخرى"[1].

ويشير الزمخشري إلى القيمة الفنية والمعنوية في ظاهرة التكرار بأنها "استدعاء منهم؛ لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفتروا أو يغفلوا عن تأملهم، وما أخذوا به"[2]، ويقول الجاحظ مبيّنًا الفائدة منه: "إن الناس لو استغنوا عن التكرير وكفوا مئونة البحث والتنقير لقلّ اعتبارهم. ومن قلّ اعتباره قلّ علمه، ومن قلّ علمه قلّ فضله، ومن قلّ فضله كثُر نقصه، ومن قلّ علمه وفضله وكثُر نقصه لم يُحمد على خير أتاه، ولم يُذمّ على شرّ جناه، ولم يجد طعم العزّ، ولا سرور الظفر، ولا روح الرجاء، ولا برد اليقين، ولا راحة الأمن"[3].

ويربطه السيوطي بمحاسن الفصاحة؛ حيث قال: "هو أبلغ من التوكيد، وهو من محاسن الفصاحة"[4]، و مما سبق نجد أن للتكرار فوائد كثيرة متعددة؛ فهو يحقق الربط بين أجزاء الكلام، والتماسك النصي[5].

وأسلوب التكرار ورد في القرآن الكريم، واستعمله الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وجعله وسيلة من وسائل الدعوة؛ لتبليغ رسالة ربه، ونشر دعوته؛ فهو مرسل لكافة الناس؛ فكرر - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - الحرف والمفردة والجملة؛ ترغيبا وترهيبا وتحذيرا وتأكيدا؛ لإقناع العقول، واستمالة القلوب.

إعادة تكرار اللفظة نفسها: تكرر لفظ الجلالة «الله» وفي تكراره أخبر النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الناس جميعا بأن الذي يستحق الحمد هو الله وحده لا أحد غيره؛ فالله - عَزَّوَجَلَّ - هو الوحيد الذي يحمد.

(١) **التعريفات**، باب التاء، (ص٥٩).
(٢) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، (٤/ ٣٥١).
(٣) **رسائل الجاحظ**، (٣/ ٢٣٦).
(٤) **الإتقان في علوم القرآن**، (٢/ ١٤٤).
(٥) ينظر: **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، (ص٩٢).

و تكرار النداء «**أيها الناس**» سبع مرات أفاد جذب الانتباه، وتهيئة المتلقين لما سيلقى بعده من أمر جلل، وفيها دلالة على العموم، فالرسول - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - مرسل للبشرية كلها؛ فالدعوة المحمدية عالمية تتخطى حدود الزمان و المكان قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة سبأ٢٨].

كذلك تكرار الاستفهام في قوله - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -: «**أي يوم هذا، وأي شهر، وأي بلد هذا**»؟ لتأكيد حرمة اليوم والشهر والبلد، وتكرار الاستفهام صعودا باليقظة إلى قمتها، وكأن هذه الحرمات ذات طبقات ثلاث بعضها فوق بعض ليس واحدا[١].

وتكرار لفظة «**حرمة**» واسم الإشارة «هذا» يدل على حرص الرسول الكريم، واهتمامه بأمر الحرمات الثلاث: «**الدماء، والأموال، والأعراض**»؛ لذا يجب تأكيدها وترسيخها في نفوس الناس؛ لأن في التكرار تذكيرًا للمخاطبين بالهدف من رسالته.

وتكرار بعض الأدوات؛ نحو «**ألا وإن**» فقد تكررت في أكثر من جملة للتأكيد على حرصه - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على بيان الأمور، وتوضيحها لأُمته قبل وفاته، وهي - أيضا - من وسائل التأثير والإقناع.

وتكرار جملة «**هل بلغت**» فيه بيان بأهمية ما ذكره الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فالبلاغ في الخطبة يبين للمسلمين منافعهم الدينية والدنيوية، ويرسم لهم صورة المجتمع المثالي؛ كما في التكرار "تبرئة من القصور والتهاون والتقصير؛ لتقرير نزاهة الساحة من اللوم، والتعريض بانتقال التبعة إلى أهلها، وتحملهم حقوقها؛ مع الإشعار بعظم جانبها"[٢]، فالرسول - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - قد بلغ رسالة ربه وكمل دينه، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة ٣]، فهذه من أكبر النعم

(١) ينظر: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، (ص٣٦٣).
(٢) التكرار في الحديث النبوي، (ص٨٤).

وأعظمهـا ؛ حيـث أكمـل الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الديـن كلـه.

فالتكـرار سـنة بيانيـة مـن سـنن العـرب؛ قـال ابـن فـارس: "مـن سـنن العـرب التكريـر، والإعـادة، وإرادة الإبـلاغ بحسـب العنايـة بالأمـر"[1] والرسـول – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – مـن أفصـح العـرب وأشرفهـم، وكان يسـتخدم التكـرار في أحاديثـه وخطاباتـه، ذكـر أنـس بـن مالـك – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أن النبـي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – «**كان إذا تكلـم بكلمـة أعادهـا ثلاثـا؛ حتـى تفهـم عنـه**»[2] رواه البخـاري، كـما في تكـرار أسـلوب «**ألا هـل بلغـت**» تأكيـد وإثبـات للحجـة، فالرسـول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قـد بلـغ أومـر الله ونواهيـه لعمـوم النـاس، فمهمتـه – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – البـلاغ والبيـان، قـال تعـالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النـور٥٤].

ومـن هنـا نجـد أن التكـرار مـن أهـم العنـاصر المهمـة في بنـاء الخطبـة واتسـاقها؛ وهـو أحـد الأدوات التـي كان لهـا دور كبـير في تحقيـق الاتسـاق النـصي لخطبـة الـوداع؛ إذ أسـهم تكـرار الألفـاظ والعبـارات في تماسـكها.

يقـول صبحـي الفقـي: "التكـرار هـو إعـادة ذكـر لفـظ أو عبـارة أو جملـة أو فقـرة؛ وذلـك باللفظ نفسـه، أو بالـترادف؛ وذلـك لتحقيـق أغـراض كثـيرة ؛ أهمهـا: التماسـك النـصي بـين عنـاصر النـص المتباعدة"[3].

إذن، التكـرار وسـيلة مـن وسـائل الاتسـاق والتماسـك، ولـه دور بـارز في تحيـق الاتسـاق والانسـجام، والتحـام الخطبـة.

(١) **الصاحبي في فقه اللغة**، (ص١٥٨).
(٢) **صحيح البخاري**، كتاب العلم – باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، (ص٤٤) ح(٩٥).
(٣) **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية**، (٢/ ٢٠).

الحذف:

الحذف وسيلة اتساقية، وهو يتم داخل النص، وهو يشبه الإبدال من حيث آلية الاستعمال، فالحذف إبدال بدرجة الصفر، أي أن المبدل به لا يذكر، وإنما يترك فراغا يَملؤهُ القارئ باعتماده على النص السابق[١].

والحذف من الظواهر البلاغية والنحوية التي تشترك فيها لغات كثيرة، ونجده في اللغة العربية يوظف توظيفا يناسب السياق؛ فهو فيها أوضح، وبها ألصق؛ فقيل في تعريف الحذف: "إسقاط وطرح جزء من الكلام، أو الاستغناء عنه؛ لدليل دل عليه أو للعلم به، وكونه معروفا"[٢]، وعند عبد القاهر الجرجاني الحذف هو: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[٣].

وعند الباحثين هاليداي ورقية حسن: " علاقة داخل النص ...، فالحذف على مستوى جملة واحدة لا يحقق التماسك؛ بل على مستوى أكثر من جملة "[٤].

مما تقدم نرى أن الحذف يزيد الكلام فصاحة وبيانا واللغة جمالا ورونقا.

وتزخر خطبة الوداع بالعديد من مواطن الحذف؛ لأن الخطبة عرضت فيها أهم المبادئ التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي بصورة موجزة وبلاغة مؤثر؛ ففي نص الخطبة حذف حرف النداء (يا) مما أوحى من قربه - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - من المخاطبين، فهو - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - معلمهم وقدوتهم و رؤوف بالمؤمنين، وحذف حرف النداء فيه شد انتباه المتلقين، وتحفيزهم للإنصات لحديثه، وفيه استمالة لقلوبهم لِيُنصِتُوا لتوجيهه، ذكر الزركشي: كثر في القرآن حذف

(١) ينظر: الاتساق في العربية دراسة في ضوء اللغة، (٦٢-٦٣).
(٢) شرح ابن عقيل، (١/ ٢٤٣).
(٣) دلائل الإعجاز، (ص١٤٦).
(٤) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (٢١-٢٢).

حرف النداء؛ لكون المنادى قريبا من المنادي؛ سواء كان القرب حقيقيا أو معنويا[1]، فالمقام هنا مقام تعليم ووعظ وإرشاد، فهو – عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ – يعلمهم أمور دينهم من مناسك الحج، ونبذ عادات الجاهلية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الآخرين خاصة النساء، وغير ذلك من المبادئ والفضائل التي تكون سببا في نجاتهم.

وحذف اسم الجلالة في قوله – عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ –: «**من يضلل فلا هادي له**»، والتقدير "من يضلل الله فلا هادي ..." حذف ضمير النصب في قوله: «**مما تحقرون**» أي : "مما تحقرونه"، وكذلك حذف الاسم الظاهر؛ المفعول به، كما في قوله: «**فإن فعلن** ... » أي : "الفاحشة "، حذف المفعول به في جملة «**ألا هل بلغت** » ويدل حذف المفعول على أن الرسول – عليه أفضل الصلاة والسلام – مهتم ومركز على فعل التبليغ ، وإشهاد الحضور على أنه قد قام بالتبليغ ، وتوضيح الأمور لهم .

حذف الاسم في قوله: «**والملائكة والناس أجمعين**» والتقدير: (فعليه لعنة الله ولعنة الملائكة) وفي : « **فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن**» والتقدير : (فإن فعلن فاحشة)، وفي ذلك من الإيجاز الشديد ما لا يخفى، وقد سماه السيوطي إيجاز الحذف، وفائدته، إلى الاختصار والاحتراز عن العبث؛ لظهوره، صيانة اللسان عنه ؛ تحقيرا له"[2]، وبالإضافة إلى ما ذكر آنفًا فإن جمالية أسلوب الحذف تكمن في مراعاة خفة الألفاظ على اللسان، والتئام بعضها مع بعض، والمحافظة على توازن العبارة، ودقة إحياء وقعها.

حذف المصدر في : «**لا يحل لا مرئ مال أخيه**» وتقدير الكلام (لا يحل لامرئ أخذ مال أخيه) فالمسلم لا يأخذ مال أخيه إلا برضا وطيب نفس .

حذف فعل في قوله: «**قالوا نعم**» والتقدير: (نعم بلغت) .

(١) ينظر: **البرهان في علوم القرآن**، (٣/ ١٨٠).
(٢) – **الإتقان في علوم القرآن**، (٢/ ١٢٣-١٢٤).

وحذف شبه جملة: «**فليبلغ الشاهد الغائب**» والتقدير: (فليبلغ الشاهد منكم الغائب).

وحذف حروف النداء فالأصل - في حروف المعاني - أنها موضوعة؛ لاختصار الكلام، و"حذف الحروف مما يأباه القياس؛ لأن الحروف إنما جِيءَ بها نائبة عن الأفعال، فـ"ما ـ لا" النافيتان فنائبتان عن الفعل "أنفى"، يقول - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-: «**فلا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث**». فقد أغنت "لا" النافية " اختصارا عن التصريح بالفعل "أنفى" وهمزة الاستفهام، أو هل، نائبة عن "أستفهم"، يقول "ألا هلّ بلغت"، فقد ناب الاستفهام بـ" هل " عن الفعل أستفهم... . ومما يسترعي الانتباه أن النبي الكريم قد استغنى في خطبته عن أداة النداء؛ "يا" أو غيرها من الأدوات الأخرى ...؛ ليعرب عن قربه منهم، مما جسد قيم التلاحم والحميمية، وأزال الهوة بينهم وبين معلمهم وقدوتهم؛ وهذا يؤكد ما سبق ذكره من جماليات الحذف وفوائده.

مما سبق نلحظ أن أسلوب الحذف أو الإيجاز؛ كما ذكرها خليل أبو عودة؛ حيث قال: "بل هو تعبير حي عن موقف اجتماعي مشهود ؛ فالقول مفهوم متدارك بين المتكلم (الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والسامع (أصحابه) ، ومن هنا لا يكون هناك داع لأن يعيد المتكلم شيئا من كلامه خاصة إذا كان ما سمعه سؤالا عن حكم يتضمنه نص السؤال"[1] من سمات كلام المصطفى - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- الذي جمع بين أكثر من غرض في تحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل، وصيانة اللسان عنه تحقيرا، أو تعظيم شأنه، والتشويق إليه.

فالحذف أسهم في تحقيق الاتساق وتماسك النص؛ لأنه علاقة مرجعية داخلية سابقة أو لاحقة أو متبادلة تسهم في تحقيق تماسك النص واتساقه[2].

(١) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف، (ص٣٢٠).
(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، (٢/ ٢٠١-٢٠٣).

ومما سبق يتضح لنا ورود الحذف في خطبة الوداع بأقسامه؛ فوجدنا حذف الحرف، والاسم، والفعل، وشبه الجملة، وكان له دور فعال في تماسك النص واتساقه، وكما قيل: خير الكلام ما قلَّ ودلّ .

الوصل أو الربط:

أطلق على الوصل مسميات مختلفة كالربط والعطف، والمراد من الوصل أو الربط جمل متعاقبة خطيا، وكي تدرك كوحدة نصية متماسكة نحتاج إلى عناصر رابطة لربط أجزاء النص، وفي هذا إشارة إلى أهمية العطف في اتساق النص وتماسكه(١).

ولعل أقدم إشارة إلى مفهوم الوصل والفصل وأهميته ماورد عند الجاحظ في أثناء سرده لتعريف البلاغة؛ حيث "قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الوصل من الفصل"(٢)، وعدَّ الجرجاني باب الفصل والوصل من أدق مباحث البلاغة وأصعبها؛ حيث قال: "واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول: إنه فيه خفي غامض، ودقيق صعب، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب ..."(٣).

ويعد مصطلح الوصل مظهرا من مظاهر الاتساق الأساسية في النص؛ الذي يشير إلى تعالق العناصر اللغوية بعضها مع بعض، وقدرتها على الربط بين الجمل والمفردات؛ فمن خلاله يتم تحديد الطريقة التي يرتبط فيها اللاحق بالسابق، " لما كان النص مجموعة من الجمل المتتالية المتعاقبة أفقيا وجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تصير نصا متماسكا، وتتمثل في أدوات الربط، وهي وسائل لفظية يستعين بها الأديب في بدايات الجمل داخل الفقرة الواحدة وفي بدايات فقر النص الأدبي"(٤).

(١) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (ص٢٣).
(٢) البيان والتبين، (١/ ٨٨).
(٣) دلائل الإعجاز، (ص٢٣١).
(٤) المرشد الأدبي للمراحل التعليمية الجامعية الثانوية والمتوسطة، (ص٥).

كما أنه قرينة لفظية تركيبة تدل على اتصال السابق باللاحق؛ ينشئ علاقة نحوية بين مكونات الجمل وله دور في بناء الجملة والنص(١).

مما سبق نرى أن النص عبارة عن مجموعة جمل وفقرات متعاقبة تكون وحدة متكاملة؛ من خلال الترتيب التسلسلي للجمل، ومن أدوات الوصل والربط؛ التي قسمها (هاليداي ورقية حسن) إلى أربعة أنواع :

الربط الإضافي: والذي يتم بواسطة أدوات العطف (الواو، ثم، أو، الفاء) ومثل : فضلا، أعني، أيضا التي تفيد ربط السابق باللاحق، وإضافة معنى جديد للنص. مثال ذلك قوله - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -: «**نحمده ونستعينه، وَنَسْتَغْفِرُه وَنَتُوبُ إِلَيه، وَنَعُوذُ بالله من شُرُورِ أَنفُسِنَا، ومن سيئات أعمالنا**»، «**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله**»، «**أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير**» «**دماءكم وأموالكم**» «**إن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية**»، «**ما قتل بالعصا والحجر**»، «**خلق السموات والأرض**»، «**ولا يدخلن.. ولا يأتين ...**»، «**تعضلوه وتهجروهن وتضربوهن**»، «**اتقوا الله.. واستوصوا**»... ففي الأمثلة السابقة كانت وسيلة الربط حرف العطف الواو.

الربط السببي: من الاسم يظهر أنه يعتمد على عنصرين؛ وهو الربط المنطقي بين جملتين أو أكثر: ومن أدواته: كي، لأن، من أجل، لام التعليل، لهذا، وكذلك ربط السبب بالنتيجة والشرط، نحو : «**من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له**» وسيلة الربط الفاء الواقعة في جواب الشرط، وقوله - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**أيها الناس، اسمعوا مني؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا**»ربط الجملتين بالفاء وإن؛ لتؤكد وتقرر حقيقة أن كل نفس راحلة لا محالة، وهو خطاب مودع منه - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- تصديقا لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن ٢٦]، ومن النكت البلاغية في استخدام إن عقب جملة سابقة للتوثيق والربط

(١) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب جملة العربية، (١٥٧-١٥٨).

بين الجملتين قال الزملكاني: "وتجيء – إن – للربط بين جملتين لتوصل إحداهما بالأخرى، فتراهما بعد دخولها كأنهما قد أفرغا في قالب واحد"[1]، وكذلك الربط بـ(لعل)، ولم التعليل في قوله – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ –: «**يحلونه عاما ويحرمونه عاما؛ ليواطئوا...**»، الفاء الواقعة في جواب الشرط في «**فعليه لعنة الله**»؛ فالربط السببي جعل بين الجمل استمرارية تمسك كل جملة بزمام أختها؛ فالوقوف عند الجملة الأولى يجعل الكلام مبتورا غير مكتمل؛ فالربط السببي يؤدي إلى اتساق النص وتماسكه.

الربط الزمني: يظهر من خلال العلاقات التي تربط بين جمل متعاقبة و متتابعة زمنيا؛ نحو: قبل، بعد، حالا، منذ، وقد وردت في الخطبة نحو: ظرف الزمان بعد في «**ألقاكم بعد عامي هذا**» «**فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم ...**»، «**لن تضلوا بعده كتاب الله ...**»، الفاء الواقعة في جواب الشرط "من كانت عنده أمانة فليؤدها ...)، فالزمن يؤدي دورا مهما في صياغة الكلام.

الربط العكسي: هو الربط بين شيئين غير متسقين في النص؛ فهو يفيد أن الجملة اللاحقة أو التابعة مخالفة للمتقدمة، ومن أدوته حروف الاستدراك: (بل، لكن، غير إن)، خلاف ذلك، على الرغم .. ، ومن أدوات الربط العكسي الواردة في الخطبة النبوية (غير) قوله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «**إن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة**» وأداة الربط (لكن) في : «**إن الشيطان قد يئس .. ولكن رضي**».

ومما سبق نلحظ تواجد أدوات الربط ووسائله – بأنواعها الأربعة – في خطبة الوداع، وقد غلب الربط الإضافي في الخطبة وخاصة الربط بحرف الواو التي أسهمت في بناء الخطبة وتماسكها .

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، (ص١٥٦).

المبحث الثاني:
الانسجام في خطبة الوداع

الانسجام أشمل من الاتساق، وأعم وأعمق منه؛ حيث يتطلب من المتلقي أو القارئ البحث، وصرف اهتمامه في العلاقات الخفية (الجوانب الدلالية والتداولية) الموجودة في داخل النص وعمقه، وتجاوز المعطيات الظاهرة[١].

ومما سبق نجد أن الانسجام يتحقق باعتبار النص وحدة كبرى متكاملة منتظمة يقوم فيها محلل النص بالانتقال من المستوى الأفقي وصولا إلى المستوى العمودي؛ للكشف عن خفاياه، وبيان مدى انسجامه[٢].

بنية الخطاب:

تحتوي خطبة الوداع على عدة بنيات خطابية تناولت مجموعة من المبادئ والقضايا؛ التي تتصل بأصول الدين الإسلامي وأحكامه التي تسهم في تنظيم حياة الفرد والمجتمع الإسلامي.

البنية الخطابية الأولى:

«**الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه**»، استفتح المصطفى - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- خطبته بالثناء الجميل، وذكر وحدانية الله تعالى، والوصية بتقوى الله وطاعته، وكان في إضافة «**عباد**» إلى لفظ الجلالة «**الله**» تشريف ورفعة، كما أن للإضافة وقعًا نفسيًا على المسلمين؛ مما يجعلهم أشد انتباها، وأكثر استجابة لما سيلقى لهم.

(١) ينظر: **لسانيات النص الاتساق والانسجام النصي**، (ص٥-٦).
(٢) ينظر: **الاتساق والانسجام النصي: الآليات والروابط**، (ص٣٤).

وبعد إعطاء الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لملخص الخطبة وهدفها، وهو: تقوى الله وطاعته في البنية الخطابية الأولى انتقل إلى:

البنية الخطابية الثانية:

«أيها الناس إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إلى أَن تَلْقَوا رَبَّكم كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدكم هذا»؛ فيخاطب فيه عامة الناس **«أيها الناس»** نداء لكل زمان ومكان على مر الأحقاب الزمنية؛ فرسالته - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - للناس كافة ؛ قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ٢٨]، وفي هذه البنية تحدث عن حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ من خلال أسلوب التشبيه؛ الذي كشف عن المعاني، ووضحها، وبين أهمية ومقدار حرمة التعدي على النفس الإنسانية، أو المال، أو العرض؛ بأمور موجودة ومقرر حرمتها في نفوس المخاطبين؛ وهي حرمة اليوم (يوم عرفة)، وحرمة الشهر (شهر الحج)، وحرمة البلد (مكة المكرمة)، ومما زاد من تعظيم هذه الأمور الثلاثة إضافتها لهم **«يومكم، شهركم، بلدكم»**، وكأنها مختصة بهم دون غيرهم؛ يقول الإمام العيني: "إنما شبهها في الحرمة بهذه الأشياء؛ لأنهم لا يرون استباحة تلك الأشياء، وانتهاك حرمتها بحال، وقيل: مَثَّلَ باليوم وبالشهر وبالبلد؛ لتوكيد تحريم ما حرم من الدماء، والأموال، والأعراض"(١).

البنية الخطابية الثالثة:

«وإِنَّ ربا الجاهليةِ موضوعٌ، وإنَّ أَوَّلَ ربا أبدأ به ربا عمي العباسِ بن عبد المطلبِ. وإن دماءَ الجاهليةِ موضوعةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ نبدأُ به دَمُ عامر بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المطلب وإن مآثرَ الجاهليةِ موضوعةٌ» سلط الضوء فيها على بعض العادات، والأمور التي كانت في الجاهلية؛ نحو: أخذ الثأر، والمعاملات الربوية، وبدأ المصطفى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بتنفيذ

(١) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، كتاب الحج، (١٠/ ١١١).

الحكم على أهله وعشيرته، ثم انتقل إلى عموم المسلمين.

وفي صنع المصطفى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ما يدل على سماحة الدين الإسلامي؛ فالإسلام يَجُبُّ ويمحو ما قبله؛ فهنا إشارة إلى أبطال الربا، والأخذ بالثأر، ومآثر الجاهلية وأنها موضوعة تحت الأقدام لا قيمة لها.

البنية الرابعة:

أوصى فيها الرسول الكريم ومعلم البشرية - عليه أفضل الصلاة والسلام - على حسن معاملة النساء، وأداء حقوقهن على أكمل وجه؛ ففيها بين - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منزلتها، وضرورة الإحسان إليها؛ فهي نصف المجتمع، وشريكة الرجل؛ فأمر بالوصاية بهن خيرا، وذكر حقوقهن وواجباتهن، مبطلا بذلك نظرة الجاهلية للمرأة، ومؤكدا على عناية الإسلام بالمرأة، وإبراز دورها، ووزنها في الأسرة والمجتمع.

وقد مثلها الرسول الكريم بتشبيه بليغ يأسر القلوب؛ حيث شبه النساء بالأسرى في ضعفهم، وقلة حيلتهم؛ فالمرأة أسيرة أسرتها مرهونة عند زوجها، ولابد من الإحسان إليها، وحسن معاملتها؛ كما يحسن الإسلام إلى من وقع في الأَسْر.

والبنية الخامسة:

ذكَّر - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المسلمين بعقيدتهم، وضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنهما المصدران الأساسيان للتشريعات، وفيهما الخير والهداية، كما ذكَّرَهُم بأهمية الأخوة، وأنهم من أصل واحد هو نبي الله آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وحذرهم من أكل الأموال بالباطل، وانتهاك بعضهم أعراض بعضٍ، والعودة للجاهلية.

أمَّا البنية الخطابية الختامية: لحجة الوداع فقد تضمنت بعض أحكام الميراث والوصية، وتحريم التبنيّ في قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث؛ فلا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث. والولد للفراش، وللعاهر الحجر. من دُعي إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ لا يقبل منه صرف ولا عدل**».

الخاتمة

وبعد؛ فأحمد الله على توفيقه وعونه وتيسيره الذي يسر وأعان حيث كشفت في بحثي عن أهم معايير الاتساق و الانسجام في خطبة الوداع، وقد انتهيتُ بفضل الله إلى مسائل؛ منها :

أتت خطبة الوداع في غاية الاتساق والتماسك، ومنتهى الانسجام بين المفردات والجمل والعبارات؛ متماسكة في الشكل، مترابطة في دلالتها ومضمونها.

غلبة الإحالة بالضمائر بنوعيها المتصلة والمنفصلة الظاهرة والمستترة وأغلبها إحالة نصية مقامية؛ أسهمت في تحقيق الاتساق وربط أجزاء النص؛ ليبدو ككتلة لغوية واحدة متلاحمة.

كثرة الضمائر المتصلة، وتوزعها في الخطبة.

تعددت أدوات الربط، وكان الظهور الأكثر للربط الإضافي خاصة الربط بالواو.

جاءت الإحالة في أسماء الإشارة إحالة نصية قبلية؛ بعكس الأسماء الموصولة؛ فقد جاءت الإحالة فيها بعدية؛ باستثناء موضعين.

أضفت الفنون البيانية والبديعية في الخطبة على المتلقي المتعة، إلى جانب الفائدة والمعلومة، رغم قلتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

١. **الاتساق في العربية دراسة في ضوء اللغة**، لجابر سويس الذهبي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية – بغداد، ٢٠٠٥م.

٢. **الاتساق والانسجام النصي: الآليات والروابط**، لابن الدين بخولة، دار التنوير – الجزائر، ط١، ٢٠١٤م.

٣. **الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي**، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٤. **اجتهادات لغوية**، لتمام حسان، القاهرة – عالم الكتب ،٢٠٠٧م.

٥. **الإحالة في نحو النص**، لأحمد عفيفي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المكتبة الأزهرية، ٢٠٢٠م.

٦. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، لعبدالله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، تحقيق: يوسف البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٧. **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، لجميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٩٨م.

٨. **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**، لكمال الدين محمد بن علي الزملكاني، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، رئاسة ديوان الأوقاف، دار إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية، مطبعة العاني – بغداد.

٩. **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية –بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ .

١٠. **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف**، لأبي عودة عودة خليل، عمان – دار البشير للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٤هـ.

١١. **البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)**، لتمام حسان، ط٢، القاهرة – عالم الكتب، ٢٠٠٠م.

١٢. **البيان والتبين**، لعمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٧ ، ١٤١٨هـ.

١٣. **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، دار الهداية ودار إحياء التراث.

١٤. **تأويل مشكل القرآن**، لعبدالله بن مسلم ابن قتيبة ، دار إحياء الكتب العربية – مصر، ١٩٥٤م.

١٥. **التكرار في الحديث النبوي الشريف**، لأميمة بدرالدين، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦ العدد الأول، الثاني، ٢٠١٠م.

١٦. **جامع الدروس العربية**، لمصطفى الغلاييني، راجعه: عبدالمنعم خفاجة، منشورات المكتبة العصرية – صيدا، بيروت ، ط٣٠، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

١٧. **حبك النص " منظورات من التراث العلمي"**، لمحمد العبد، مجلة الدراسات اللغوية، مج ٣ع ٣/ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الرياض – المملكة العربية السعودية.

١٨. **الحديث النبوي من الوجهة البلاغية**، للسيد عز الدين علي، دار الطباعة المحمدية– الأزهر – القاهرة، ١٩٧٣م.

١٩. **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، لسعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٠. **دلائل الإعجاز**، للجرجاني عبد القاهر، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، مطبعة مدني – القاهرة ، دار المدني -جدة.

٢١. **رسائل الجاحظ، للجاحظ عمرو بن بحر**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ١٣٨٤هـ.

٢٢. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، لابن عقيل عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي، تحقيق: محمد محي الدين، القاهرة – دار مصر للطباعة .

٢٣. **شرح المفصل**، لابن يعيش يعيش ابن على بن يعيش، عالم الكتب – بيروت.

٢٤. **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، لابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، تحقيق: محمد علي بيضون ، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٥. **الصاحبي في فقه اللغة**، للقزويني أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ط١، (مطبعة بيت محمد علي بيضون – بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٢٦. **صحيح البخاري**، للبخاري محمد بن إسماعيل، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٧. **صحيح مسلم**، للنيسابوري مسلم بن الحجاج، رقم كتبه وأبوابه: محمد بن نزار تميم وهيثم بن نزار تميم، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٢٨. **علم اللغة النص (المفاهيم والاتجاهات)**، لسعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، القاهرة ،ط١، ١٩٩٧م.

٢٩. **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية**، لصبحي إبراهيم الفقي، دار قباء – القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٣٠. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، للعيني بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣١. **في اللسانيات ونحو النص**، لإبراهيم محمود خليل، دار المسيرة، ط٢، عمان، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٣٢. **الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، ١٩٤٧م.

٣٣. **لسان العرب**، لابن منظور جمال الدين بن مكرم، دار المعارف – القاهرة.

٣٤. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، لمحمد خطابي، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.

٣٥. **المرشد الأدبي للمراحل التعليمية الجامعية الثانوية والمتوسطة وفق المنهجية الحديثة**، سمير كبريت، ، دار النهضة – بيروت .

٣٦. **معجم التعريفات**، للجرجاني علي بن محمد السيد الشريف، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة .

٣٧. **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، لمصطفى حميدة، مكتبة لبنان –بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩٧م.

Kingdom of Saudi Arabia,
Madinah, Endowment for Cherishing
the Two Glorious Revelations,
Serving the Glorious Quran and the Elevated Sunnah
in the Illumed City of the Prophet ﷺ

Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

A scholarly, refereed periodical journal, specializing in research related to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah

This issue's articles:

- **THE IMPACT OF PHONETIC ASSIMILATION ON THE INTERPRETATION OF THE GLORIOUS QUR'AN AN APPLIED STUDY ON VERSES FROM JUZ' ʿAMMA**
  Dr. Faiṣal bin Ḥmūd bin Ḥashāsh al-Mukhaimir al-Shammrī
- **CLEAR ANSWERS TO THE SUBTLE QUESTIONS IN THE INTERPRETATION OF THE QUR'ANIC VERSES BY ʿALĪ BIN MUHAMMAD AL-MIṢRĪ (D. 1127 AH):**
  Dr. Bakr bin Muhammad bin Bakr ʿĀbid
- **THE VERSE OF MAJESTY IN THE GLORIOUS QUR'AN: AN OBJECTIVE STUDY**
  Dr. Fahd bin Faraj Ahmad al-Johanī
- **IBN FADDĀL'S EXEGETICAL METHODOLOGY: A STUDY OF HIS BOOK "NUKAT FĪ AL-QUR'AN AL-KARĪM"**
  Dr. Sultān bin Budair bin Badr al-ʿOtaibī
- **VERBAL AND SEMANTIC SIMILARITIES IN THE LIFE CYCLE OF PLANTS AND HUMAN CREATION IN THE GLORIOUS QUR'AN:**
  Dr. Hibatullāh bint Sādiq bin Saʿīd Abū ʿArab
- **THE IMPLICATIONS OF EXPRESSIONS INDICATING FEAR OF ERROR IN IBN KHUZAIMAH'S ṢAḤĪḤ:**
  Dr. ʿAbdullāh bin ʿAbdulraḥmān bin ʿAbdulazīz al-Kharajī
- **THE THIRD PERSON PRONOUN AND ITS ANTECEDENT IN ARABIC SPEECH**
  Dr. Muṭīʿah bint Muḥammad Shuwaiṭ al-Ḥarbī

Journal Supplement for Postgraduate Students:

- **Restricted Invalidation and its Impact on the Narrator's Narrations: An Application to Some Samples of Imam ʿAbd al-Razzāq al-Sanʿānī's Narrations–**
  Shaimā' bint Khālid Ḥamid al-Nimrī

15

Vol. 15, Issue 8,- 1446 AH - 2024 AD

ISSN 1658-774X